
الأربعون العقدية
الحديث التاسع
الفرقان في بيان حقيقة الإيمان
أيمن إسماعيل

.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

....- إنَّ الحمد لله تعالى نحمده ، و نستعينه و نستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [**النساء**: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١]

أما بعد :

فإن خير الكلام كلام الله ، و خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، و شر الأمور محدثاتها ، و كل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار.

*** ***عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:***

الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ . [1]

هذا لحديث يعد من أصول المسائل العقدية التي اهتم بها السلف ، وذلك لكونه يتضمن مسألة الإيمان .

ولا شك أن مسألة الإيمان من المسائل الفارقة بين أهل السنة وأهل البدعة ، وهي من أصول المسائل التى حرص السلف على تبيينها وتفصيلها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وكلام الناس في هذا اسم الإيمان ومسمَّاه كثير؛ لأنه قطب الدين الذي يدور عليه ،

---

[1] أخرجه البخاري (٩)ومسلم (٣٥)

وليس في القول اسم عُلِّقَ به السعادة والشقاء والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر؛ ولهذا سمي هذا الأصل " مسائل الأسماء والأحكام ". [2]

الإيمان لغة-

مصدر آمن يؤمن إيماناً ؛ فهو مؤمن، ومعنى الإيمان عند العرب: التصديق، فيُدْعَى المصدِّق بالشيء قولاً مؤمنًا به، ويُدْعى المصدِّق قولَه بفِعْله مؤمنًا. ومن ذلك قول الله جل ثناؤه:(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [سورة يوسف: ١٧] ، **والمعنى** : وما أنت بمصدِّق لنا في قولنا [3] .

***** والإيمان يكون متعدياً بنفسه ومتعدياً بغيره :**

١- بنفسه :

يقال آمنته أى جعلت له الأمن، وهو التأمين من الخوف، قال الله تعالى :(لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ * وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

* قال النبي –صلى الله عليه وسلم : أنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون) [4] .

ومنه اسم المؤمن لله عز وجل ؛ لأنه يؤمِّن عباده من الخوف والفزع يوم القيامة .

٢- يتعدى بالباء : فيكون معناه: التصديق، فتقول: آمنت بالله أو آمنت برسول الله، قال الله تعالى:

{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} [البقرة:١٣٦]

ولما جاء الرجل يستنصح النبي –صلى الله عليه وسلم –قال:(قل: آمنت بالله ثم استقم) [5]

٣ - ويتعدى باللام:

ويكون معناه: الاتباع والانقياد والإذعان، قال الله تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} [العنكبوت:٢٦]، ، فيقال آمنت لله أي: أذعنت وخضعت وانقدت لأحكام الله و أوامره.

* **وعليه :**فالإيمان ليس قاصراًعلى التصديق فحسب ، بل يشمل على معنى التصديق والإقرار والانقياد .[6]

---

[2] مجموع الفتاوى(٥٨/١٣)

[3] وانظر جامع البيان في تأويل القرآن(٢٣٥/١)

[4] أخرجه مسلم (٦٦٢٩)

[5] أخرجه مسلم (٣٨)

[6] وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من جعل الإيمان مجرد التصديق من ستة عشر وجهاً فى كتاب الإيمان(ص/٩٩) ومجموع الفتاوى(١٢٢/٧) ومفاد ذلك أن من حصر الإيمان فى التصديق فقوله مردود من وجوه حيث أن الإيمان يقابله الكفر والتصديق يقابله التكذيب، والكفر يكون بالتكذيب وغيره =

- تعريف الإيمان اصطلاحاً:-

هو قول وعمل ونية واعتقاد،هذا فى الجملة ؛ فإنَّ ألفاظ السلف تنوعت فى تفسير الإيمان،وإن كان مقصودهم واحداً.

**** الإيمان حقيقة مركبة من أربعة أجزاء :**

قول ظاهر وباطن ، وعمل ظاهر وباطن ، وهذا يعنى أمرين لا نزاع فيهما عند أهل السنة:

(١) لا يجزىء القول من دون العمل ، وهذا بإجماع أئمة السلف.

(٢) أن الكفر يكون بالقول والعمل ، كما يكون بالاعتقاد والترك.

فالإيمان قول وعمل ونية ، ***أما قول القلب***: فهو تصديقه وإقراره ويقينه ومعرفته . ***أما عمل القلب*** : فهو تحركه وارادته ، مثل الإخلاص والتوكل والرجاء والخوف والوجل والمحبة .[٧]

_ **وأما قول اللسان** : فهو الإقرار بالله وبما جاء من عنده ،والشهادة لله بالتوحيد ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة .

***** الأدلة أنَّ قول القلب من الإيمان :***

١- قال تعالى (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)**(المنافقون/١)**

فقد أثبت عليهم حكم النفاق ونفى عنهم الإيمان ؛ وذلك لانتفاء قول القلب ، والذي هو الإقرار والتصديق . وفي الآية دلالة أن الشهادة ليست قاصرة على قول اللسان ، بل يدخل فيها قول القلب ،وإن كان الإسلام في الظاهر يكفي فيه نطق الشهادتين .

= كما أن الإيمان لا يفيد معنى التصديق إلا إذا عدِّى باللام (آمن له) (وما أنت بمؤمن لنا) وقد ورد لفظ الإيمان متعدياً بـ (اللام/الباء / وبنفسه) ،فدل أن لفظ الإيمان أوسع دائرة من لفظ التصديق ، ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق فحسب، فإن التصديق لغة يشمل الأفعال كما فى الحديث(العينان تزنى...........والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)

- ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق لغة فإن قول الشرع مقدّم على اللغة حال التعارض ، والشرع قد أوسع دائرة الإيمان فجعل فيها تصديق الجنان وقول اللسان وعمل الأركان ،ونظيره.

لفظ الصلاة لغة – هى الدعاء،ولكن زادها الشرع بإلزام الركوع والسجود فيها مع القراءة..

وانظر المسائل العقدية التى حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص/٥١٧) وحقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(٥٦)

[٧] والفرق بين قول القلب و عمل القلب :

أن قول القلب هى العقائد التى يعترف بها ويعتقدها ، وأما عمل القلب فهى حركته التى يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهى محبة الخير وإرادته الجازمة ، وكراهية الشر والعزم على تركه .

.

وأما أدلة السنة :

عن أبي هريرة –رضى الله عنه–**قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :**

"اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ".[٨]

قال شيخ الإسلام :

فَمُجَرَّدُ عِلْمِ الْقَلْبِ بِالْحَقِّ إنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ عَمَلُ الْقَلْبِ بِمُوجَبِ عِلْمِهِ مِثْلُ مَحَبَّةِ الْقَلْبِ لَهُ وَاتِّبَاعِ الْقَلْبِ لَهُ لَمْ يَنْفَعْ صَاحِبَهُ ، بَلْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ . **ا.هـ**[٩] **.**

***** ثانياً : أدلة اشتراط قول اللسان:-***

قال تعالى(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(البقرة/١٣٦)

***وعن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه –قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » .**

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وَبِهَذَا تَعْرِفُ أَنَّ مَنْ آمَنَ قَلْبُهُ إيمَانًا جَازِمًا امْتَنَعَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ ، فَعَدَمُ الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ مُسْتَلْزِمٌ انْتِفَاءَ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ التَّامِّ . ا.هـ[١٠]

- وكذلك أجمع العلماء على ثبوت حكم الإسلام للكافر إذا نطق الشهادتين ، نقل هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم ، كابن القيم وابن حزم .

---

[٨] أخرجه مسلم (١٥٦)
[٩] مجموع الفتاوى(٢٧١/١٠)
[١٠] مجموع الفتاوى(٥٥٣/٧)

قال ابن رجب :

ومن المعلوم بالضرورة أنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – كان يقبل مِنْ كل منْ جاءه يريدُ الدخولَ في الإسلامِ الشهادتين فقط ، ويَعْصِمُ دَمَه بذلك ، ويجعله مسلماً ، فقد أنكر على أسامة بن زيد قتلَه لمن قال : لا إله إلا الله ، لما رفع عليه السيفَ ، واشتدَّ نكيرُه عليه [11].

ثالثاً : أدلة اشتراط عمل القلب:

قال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)(البقرة/١٦٥)

و قال تعالى (- إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

*** ومن السنة :

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه –قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :

الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ،وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ [12].

** وعن أنس مَالِكٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :

لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا [13] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:-

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ عَامَّةَ فِرَقِ الْأُمَّةِ تُدْخِلُ فِي الإيمان مَا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ ، حَتَّى عَامَّةِ فِرَقِ الْمُرْجِئَةِ تَقُولُ بِذَلِكَ ا.هـ [14] .

- قال ابن القيم :

أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب .[15]

---

[11] وانظر جامع العلوم والحكم(ص/ ٢٢٨)

*** تنبيه مهم :

ليس المقصود بالشهادتين مجرد الإخبار عما فى النفس من العلم والجزم بأن لا إله إلا الله بل لابد أن يكون ذلك على وجه الإنشاء المتضمن الإلتزام والانقياد، ولهذا لم ينفع اليهود وغيرهم اعترافهم بالنبى - صلى الله عليه وسلم – مع قولهم بالتوحيد ؛ لأنَّ ذلك كان على سبيل الإخبار دون الرضا والانقياد للشريعة .

[12] متفق عليه

[13] أخرجه البخاري(٦٠٤١)

[14] مجموع الفتاوى (٧/٥٥٠)

[15] الصلاة وأحكام تاركها(ص/٥٦)

*** فوائد :

الأولى :

لا يكفى مجرد الإقرار بكفر أبى لهب مثلاً ، بل إن عمل القلب يستلزم بغضه فى الله ، قال تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ)(المجادلة/٢٢).

الثانية :

عمل القلب من أركان الإيمان وبفقده ينعدم الإيمان فى القلب، فإنَّ كفر فرعون ما كان إلا لانتفاء عمل القلب ، بالإضافة الى انتفاء قول اللسان،ومثله كفر أبى طالب ، قال تعالى عن آل فرعون (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))(النمل/١٤)

وقال – تعالى -عن موسى - عليه السلام -فى خطابه لفرعون(قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) (الإسراء/١٠٢)

فلقد أبى فرعون أن ينطق بكلمة التوحيد رغم استيقانه بهذه الكلمة ،ومثله ما كان من كفر إبليس ،فلقد كفر إبليس من باب الكبر والاستكبار على أمر الله تعالى،رغم ما كان عليه من الاعتقاد القلبى بتوحيد الله ، ونطقه بذلك ، ومن هذا الباب كفر اليهود فكان من باب زوال عمل القلب ، وهم كما قال الله (***يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ***)

رابعاً :عمل الجوارح:

فعمل الجوارح أصل من أصول الإيمان ، وأحد أركانه والدليل على ذلك:

قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة/٥)

فنص الله –تَعَالَى - على أَن عبَادَته فِي حَال الإخلاص وَأقَام الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة الواردتين فِي الشَّرِيعَة كُله دين الْقيمَة .[١٦]

*** قَالَ تَعَالَى { فَلَا وَربك لَا يُؤمنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شجر بَينهم ثمَّ لَا يَجدوا فِي أنفسهم حرجاً مِمَّا قضيت ويسلموا تَسْلِيمًا }**

فنص تَعَالَى وَأقسم بنفسه أَن لَا يكون مُؤمنا إِلَّا بتحكيم النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -فِي

---

[١٦] الفصل في الملل والأهواء والنحل(١٠٩/٣)

كل ماعن ثمَّ يسلم بِقَلْبِه وَلَا يجد فِي نَفسه حرجاً مِمَّا قضى فصح أَن التَّحْكِيم شَيْء غير التَّسْلِيم بِالْقَلْبِ ، وَأَنه هُوَ الْإِيمَان الَّذِي لَا إِيمَان لمن لم يَأْتِ بِهِ فصح يَقِينا أَن الْإِيمَان اسْم وَاقع على الْأَعْمَال فِي كل مَا فِي الشَّرِيعَة .[17]

ومن أدلة السنة :

عن ابن عباس – رضى الله عنهما–قَالَ : قال النبي – صلى الله عليه وسلم :

أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ [18].

****** الإجماع على أنَّ العمل الجوارح من الإيمان:***

قال شيخ الإسلام :

وَأَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْقَلْبِ ثُمَّ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ ا.هـ [19] .

قال الشافعى:

وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر ا.هـ [20].

* **فائدة:**

والذى عليه أهل السنة أن العمل الذى هو ركن فى الإيمان إنما هو جنس الأعمال، وليس كل فرد من العمل الظاهر .

وعلى هذا فقد يجتمع عندهم فى الشخص الواحد حسنات وسيئات ،فالقاعدة هنا:

" جنس العمل ركن في الإيمان ، لا آحاده ، إلا بدليل "

وأما الذى عليه المعتزلة والخوارج :

أنَّ كل فرد من أفراد العمل ركن فى الإيمان، يُفقد الإيمان بفقده ، لذا فلا يجتمع عندهم

---

[17] المصدر السابق(١٠٩/٣)

[18] متفق عليه،وترجم له البخارى بقوله :بَاب أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنْ الْإِيمَانِ .

[19] مجموع الفتاوى(٦٧/٧)

[20] شرح اعتقاد أهل السنة (١٤٩/٤)

فى الشخص الواحد حسنات وسيئات وثواب وعقاب، ومن وقع فى كبيرة فقد خرج من الإيمان .[21]

_ قال ابن تيمية :

وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ الْوَاحِدُ يُرْحَمُ وَيُحِبُّ مِنْ وَجْهٍ وَيُعَذَّبُ وَيُبْغَضُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ ، وَيُثَابُ مِنْ وَجْهٍ وَيُعَاقَبُ مِنْ وَجْهٍ ، فَإِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَمْرَانِ خِلَافًا لِمَا يَزْعُمُهُ الْخَوَارِجُ وَنَحْوُهُمْ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَا يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ ، فَأَوْجَبُوا خُلُودَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ [22] .

*** فصل في : الإيمان يزيد وينقص ، وأدلة ذلك :

١)قال تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)(فاطر /٣٢)

فالآية تضمنت ثلاث درجات :

الأولى : ***وهم من حقق كمال الإيمان المستحب*** ،فهم السابقون بالخيرات الذين أدوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وهؤلاء هم المقربون .

الثانية : ***من حقق كمال الإيمان الواجب*** :

وهم المقتصدون الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات،دون أن يزيدوا على ذلك بفعل النوافل ،كما فى حديث (أفلح إن صدق) [23]

الثالثة : ***من حقق أصل الإيمان*** :

وهم الذين معهم أصل التوحيد ، وقد اجترءوا على فعل المحرمات دون توبة ،

---

[21] وعليه فقد جعل المعتزلة " مسألة الوعيد" هي أحد أصولهم الخمسة ، والتي مفادها أن المسلم إذا خرج من الدنيا بكبيرة من الكبائر دون أن يتوب منها فإنه يستحق الخلود في النار، ولا يدخل تحت المشيئة.
والذي يقال هنا –من باب الإنصاف-أن القول بخلود فاعل الكبيرة في النار على التأبيد إنما هو قول =
= جمهور المعتزلة ، لا جميعهم ؛ أما ما نقله القاضى عبدالجبارمن إجماع المعتزلة على كفر فاعل الكبيرة ،وأنه مخلد في النار كالكافر ،فهذا إجماع منه فيه نظر ؛ فقد قال البغدادي :
" دعوى إجماع المعتزلة على أن الله - سبحانه -لا يغفر لمرتكبى الكبائر من غير توبة منهم غلط منه عليهم لان محمد بن شبيب البصرى والصالحى والخالدى هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة وهم واقفية فى وعيد مرتكبى الكبائر وقد أجازوا من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة" لذا فقد خص الأشعري الإجماع بأهل الوعيد منهم ، فقال (وأجمع أصحاب الوعيد من المعتزلة أن من أدخله الله النار خلده فيها) وانظر الوعد الأخروي(٤٥٩/١) والفرق بين الفرق(ص/٩٦)

[22] مجموع الفتاوى (١٥ /٢٩٤)

[23] وهذا الحديث فيه دلالة أن من حقق كمال الإيمان الواجب ،دخل الجنة من أول وهلة ، لذا فقد ترجم القرطبي لهذا الحديث عند شرحه لمسلم بقوله (باب / من اقتصر على فعل ما وجب عليه وترك ماحرم عليه دخل الجنة)

وقصَّروا في فعل بعض الواجبات ، فهؤلاء هم الظالمون لأنفسهم ،وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق [24].

٢) قال تعالى (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) **(الأحزاب/٢٢)**

قال تعالى (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) **(مريم/٧٦)**

****** ومن السنة :***

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ :
يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ [25] .

** وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :
ما رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا .[26] .
وَفِيهِ بَيَان زِيَادَة الْإِيمَان وَنُقْصَانه ، و أَنَّ النَّقْصَ مِنَ الطَّاعَاتِ نَقْصٌ مِنَ الدِّينِ [27] .

---

[24] **فائدة :**
الله عزوجل بعدذكره لهذه الأقسام الثلاثة قال (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) والواو في قوله (يدخلونها) شاملة للظالم، والمقتصد والسابق ، على التحقيق. ولذا قال بعض أهل العلم:
حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، ولذا قال بعدها متصلاً بها {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّم } [فاطر:٣٦] ، وانظر أضواء البيان (٥/٤٩٠)

[25] متفق عليه ،وقد بوَّب الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله :بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ.
[26] متفق عليه ،وقد بوَّب له الترمذي بقوله : بَاب: مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ. .
قال شيخ الإسلام :جَعَلَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا أَنَّهَا إذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي ،وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَى أَنَّهُ يَنْقُصُ ا.هـ مجموع الفتاوى(١٣/٥١)
[27] وانظر شرح النووي(٦٧/٢) وشرح السنة للبغوي(٣٨/١)

*عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ».[28]

***كان معَاذ بن جبل –رضى الله عنه- يَقُول للرجل من إخوانه : اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً . [29]

* وكان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- يقول لأصحابه : « هلموا نزداد إيماناً ، فيذكرون الله تعالى »[30]

***** الإجماع على أن الإيمان يزيد وينقص :***

نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر فى " التمهيد "وأبو الحسن الأشعري فى كتابه "رسالة إلى أهل الثغر" ، ونقله البغوى فى شرح السنة عن جمهور الصحابة والتابعين وعلماء السنة .

***** وقال ابن كثير:**

فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولا وعملاً ، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عُبَيد وغير واحد إجماعًا: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.[31]

*** الإيمان عند الفرَق وأقوالهم فيه :*

١) الجهمية:

الإيمان عندهم هو المعرفة ، والكفر هو الجهل بالله عز وجل ، فجهم قد حصر الإيمان فى معرفة القلب .

*** ولكن هنا يقال :**

(١) أن جهماً وإن حصر الكفر فى جهل القلب ،إلا أنه التزم القول بأن من أتى المكفرات الظاهرة فهو كافر فى أحكام الدنيا الظاهرة فقط ، مع الحكم بأنه مؤمن فى الباطن ، و أنه من أهل الجنة.

(٢)التزم جهم بتكفير إبليس وفرعون ؛ زاعماً أنه لم يكن فى قلبيهما شيء من المعرفة بالله [32] .

---

[28] أخرجه أبو داود(٢٤٨٧) والترمذي (٢٥٣٧)وصححه الألباني ،وقد بوَّب له الترمذي :بَاب مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ .

[29] أخرجه البخاري معلقاً ،باب الايمان ،ووصله ابن حجر في التغليق وصححه (٢١/٢)

[30] أخرجه الآجري في الشريعة (٢٦٢/١) وصححه عمرو عبد المنعم سليم ، وانظر الإيمان لأبي يعلى (ص/٤٣٠).

[31] تفسير القرآن العظيم (١٦٥/١)

[32] وقد قال بقول الجهمية فى الإيمان أبو الحسن الأشعرى وطائفة من الأشاعرة، ولكنهم لم يلتزموا بلوازم هذا القول، بل التزم الأشعرى التناقض الواضح عندما قبل أن يقول أن إبليس لما كفر نزعت منه المعرفة ، وكذا وقع =

** الرد على قول الجهمية في مسألة الإيمان :

هذا أفسد قول قيل فى الإيمان ، ولهذا فقد حكم أحمد ووكيع وغيرهما بكفر من قال بذلك ؛ فلقد كان إبليس عارفاً بالله مصدقاً بربوبيته ، ،قال الله حاكياً عن إبليس (**قَالَ رَبِّ بِمَا** أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (الحجر/٣٩) وقال (فَبِعِزَّتِك لأُغْوِيَنَّهُمْ **أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**) (ص/٨٢)

وكذلك كان فرعون قال تعالى (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)(الإسراء/١٠٢) ، وقال تعالى عن فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)(النمل/١٤)

ممَّا يدل على أن إبليس وفرعون كانا يصدِّقان بوجود الله – تعالى – ويعرفونه ، فدل ذلك أن المعرفة وحدها لا يصح بها الإيمان ، وأن الكفر لا يختص بالجهل كما زعم جهم ومن وافقه.

وقال تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحق وَهمْ يعلَمونَ) فأخبر الله – تعالى – بمعرفة اليهود لصدق النبي–صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك لم ينفعهم ذلك ،بل قاتلهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- وأخرجهم من ديارهم .

قال ابن حزم :

قد نَص الله -عز وَجل -على أَن الْيَهُود يعْرفُونَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -كَمَا يعْرفُونَ أَبْنَاءَهُم وَأَنَّهُمْ يجدونه مَكْتُوبًا عِنْدهم فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل ، وَقَالَ تَعَالَى {فَإِنَّهُم لَا يكذبُونَك وَلَكِن الظَّالِمين بآيَات الله يجحدون} وَأخْبر تَعَالَى عَن الْكفَّار فَقَالَ {وَلَئِن سَأَلتهمْ من خلقهمْ ليَقُولن الله} فَأخْبر- تَعَالَى- أَنهم يعْرفُونَ صدقه وَلَا يكذبونه ،وهم الْيَهُود وَالنَّصَارَى وهم كفار بِلَا خلاف من أحد من الْأمة، وَمن أنكر كفرهم فَلَا خلاف من أحد من الْأمة فِي كفره وَخُرُوجه عَن الْإِسْلَام ، وَنَصّ تَعَالَى عَن إِبْلِيس أَنه عَارِف بِاللَّه تَعَالَى وبملائكته وبرسله وبالبعث وَأَنه قَالَ {رب فأنظرني إِلَى يَوْم يبعثون} وَقَالَ {خلقتني من نَار وخلقته من طين} وَهُوَ مَعَ ذَلِك كُله كَافِر بِلَا خلاف . ا.هـ [٣٣]

- **قال ابن القيم :**

أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل

= لفرعون، ولكن لما لم يلتزم بلازم قوله دل على تناقضه ، وبطلان أصل القول؛ لأن القول إذا لزم منه البطلان كان باطلاً.

[٣٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل(١١٠/٣)

القلب، وهومحبته وانقياده ، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول- صلى الله عليه وسلم - بل ويقرون به سراً وجهراً ، ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به [٣٤].

٢) الإيمان عند الكرامية :

والإيمان عند الكرامية هو قول اللسان ، دون اشتراط تصديق القلب أوعمل الجوارح في أحكام الدنيا ، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قَبِل إسلام الناس بمجرد قولهم للشهادتين .

* لذا فالمنافق - وإن أظهر نفاقاً واضحاً - فهو عندهم مؤمن ،إلا إنه يخلد فى النار .[٣٥]

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته، ولم يسبقها أحد إلى هذا القول ، وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان .

الرد على الكرامية :

قال تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)

(الحجرات/١٤)

ومعلوم أنه قد وقع منهم القول الظاهر ،الذي هو الإقراربالشهادتين ، ولم يجعلهم بذلك مؤمنين ؛ لعدم دخول الإيمان في قلوبهم بعد .[٣٦]

قال النووي :

ومن أقوى ما يُرد به على الكرامية إجماع الأمة على إكفار المنافقين .[٣٧]

قال شيخ الإسلام :

والكرامية يقولون: من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان وإنه من أهل النار ، فيلزمهم أن يكون المؤمن الكامل الإيمان معذبا في النار بل يكون مخلدا فيها. وقد تواتر عن النبي – صلى الله عليه وسلم –أنه {يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان}وإن قالوا لا يخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم

---

[٣٤] الصلاة وحكم تاركها (ص/٥٦)

[٣٥] وللحق نقول :أن شيخ الإسلام قد خطَّأ من حكى عن الكرامية القول أنهم يجعلون المنافقين من أصحاب الجنة ؛لأن المؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمناً في الظاهر والباطن باتفاق أهل الملة .

[٣٦] وانظر الإيمان لأبي يعلى (ص/٣٩٤)

[٣٧] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤٧/١)

نصيرا} [38]

** قَالَ أَبُو مُصْعَب الْمَدَنِي : مَنْ قال الْإِيمَان قَول يستتَاب ، فَإِن تَاب وَإِلَّا ضُرِبَت عُنقه . [39] .

*

**** ثم نقول :**

أننا نتفق معكم أن نطق الشهادتين يكفي في الحكم بإسلام قائلها ظاهراً ، و بها يُعصم مال المرء ودمه ، ولكنه إذا أظهر نفاقاً جلياً واضحاً ، حكمنا بنفاقه النفاق المخرج من الملة ؛ فإنّ الأحاديث التي نصت على عصمة المال والنفس لمن نطق بكلمة التوحيد ليست على إطلاقها ، بل هي مخصوصة بالآيات التى دلت على الحكم بالنفاق على أناس نطقوا الشهادتين ،وقد أتوا بالنفاق الأكبر المخرج من الملة.

***** الإيمان عند المرجئة :ـ** [40]

وقد أطلق عليهم اسم المرجئة لأحد أمرين :

(١) تغليب جانب الرجاء . (٢)إرجاء - أى تأخير- العمل وإخراجه من الإيمان.

**** أما قولـهم فى الإيمان :***

فهوعندهم تصديق القلب وعمله ومعرفته، ولم يدخلوا قول اللسان ولا عمل الجوارح فى الإيمان، وجعلوا كمال الدين مجرد التصديق، وعليه فقد جعلوا إيمان أفجر الناس كإيمان جبريل وأبي بكر الصديق .

*****وقالوا:**

ولا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة [41] ، وجمهورهم أن تارك الصلاة معرض للوعيد ، وهو مع ذلك كامل الإيمان .

* لذا فالمرجئة يختلفون مع السلف فى إدخال أعمال الجوارح فى الإيمان ، أى فى

---

[38] بتصرف يسيرمن مجموع الفتاوى(١٣/٥٦)

[39] سنن الترمذي(٢٦٢٢)

[40] ومن المعاصرين من يطلق على المرجئة لقب (مرجئة أهل السنة) ؛ وذلك إشارة الى المرجئة الخالصة التى لم تجمع بين الإرجاء وغيره من البدع المشهورة ، فالمرجئة عند أصحاب المقالات أربعة أصناف (مرجئة القدرية ومرجئة الخوارج ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة) والأخيرة هى التى يُطلق على مرجئة أهل السنة ، وهذا بخلاف مرجئة الفقهاء،وسيأتى بيانهم .

[41] وأما قولهم " لا يضر مع الإيمان ذنب " فهذا مما نص عليه صاحب الطحاوية ؛بناءً على قول مرجئة الفقهاء بإخراج عمل الجوارح من الإيمان .والصواب أن الذنوب تؤثر في الإيمان ،فمنها ما يزيله بالكلية ،كترك الصلاة ،الترك الكلي ، ومنها ما ينقصه فقط كسائر الذنوب الأخرى .وانظر التعليقات المختصرة على الطحاوية للفوزان (ص/١٤٠)

ترتيب الإيمان على وجودها، والكفر على انتفائها .[٤٢]

.

*** *الرد على المرجئة :*

أما قولهم إيمان آحاد الناس كإيمان جبريل:

فيرده الإجماع الذى نقله ابن أبى مليكة الذي قال :

أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ .[٤٣]

* وقد قِيلَ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ إِنَّهُ يُجَالِسُكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ إِيمَانَهُ مِثْلُ إِيمَانِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقَالَ: سبحان الله ! " وَاللهِ لَقَدْ فَضَّلَ اللهُ جِبْرِيلَ فِي الثَّنَاءِ فَقَالَ: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ، ثَمَّ أَمِينٍ } [التكوير: ٢٠][٤٤]

قال ابن حجر :

وفي هذا- أي في كلام ابن أبي مليكة - إشارة إلى أن المذكورين كانوا قائلين بتفاوت درجات المؤمنين في الإيمان، خلافا للمرجئة القائلين : بأن إيمان الصدِّيقين وغيرهم بمنزلة واحدة [٤٥] .

*** ***أما قولهم لا يضر مع الإيمان ذنب !!***

فالرد عليه في حديث حُذَيْفَة – رضي الله عنه - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ [٤٦] .

---

[٤٢] ولما كان الإيمان عند المرجئة منحصراً في التصديق ترتب على ذلك ما يلي :

أ - فإن الكفر لا يكون إلا بالتكذيب ،وعليه فمن لطخ المصحف – مثلا – أوسجد لصنم فلا يكفر، وعمله هذا لا يكون كفراً ، بل هذا دال على انتفاء الإيمان من قلبه . وأهل السنة يقولون أن ذات الفعل يكون كفراً .

*** فإن قيل : فما تأويل قول صاحب الطحاوية :ولا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله ؟؟؟**

فالجواب :

ما نص عليه شيخ الإسلام أن هذه العبارة سيقت رداً على الخوارج الذين يكفرون بالكبيرة .

ب) أن المرجئة يقولون نحن مؤمنون عند الله ؛ حيث أن التصديق لا يقبل النقصان ولا الشك . فمجرد أن آمنوا ثبت لهم كمال الإيمان ،أما أهل السنة فيقولون : نحن مؤمنون بالاقرار ؛فالمؤمن يقر بإيمانه ، لكنه لا يجزم بالنجاة ، بل يرجو ربه ذلك .

- **وللعلم** : فإن المرجئة لا يمتنعون من القول بدخول الأعمال فى الإيمان إذا كان لا يترتب على زوالها زوال الإيمان ، فالعمل ركن من الإيمان الكامل،وليس بركن من أصل الإيمان الذى لا نجاة من الخلود فى النار إلا به.

[٤٣] أخرجه البخارى معلقاً فى كتاب الإيمان، باب(٣٦)وانظر حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(ص/٤٢)

[٤٤] الإيمان لأبي عبيد (ص/٦٣)

[٤٥] وانظر فتح الباري (١٦٩/١)

[٤٦] رواه مسلم (٣٨٦)

والمعنى أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي، دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإيمان.[٤٧]

فمذهب الإرجاء قد ترتب عليه المفاسد العظيمة،حيث حصروا الكفر فى كفر الإستحلال والجحود .[٤٨]

* ومن آثار ذلك فتح باب التخلى عن الواجبات والوقوع فى المحرمات ، كما إن فيه تجسير لكل فاسق وقاطع طريق على الموبقات،مما يؤدى إلى الإنسلاخ من الدين،وهتك حرمات الإسلام ،نعوذ بالله من الخذلان [٤٩].

*** *الرد على المرجئة* في إخراجهم عمل الجوارح من الإيمان :

١) قال الله عز وجل {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} **[الروم: ٣١].**

فرتب الله –عزوجل – أخوة الدين على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وهذه أعمال جوارح .

قال الأوزاعى :

فوصف الله الدين قولاً وعملاً ،فقال : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ،والتوبة من الشرك ، وهو من الإيمان ، والصلاة والزكاة **عمل** » [٥٠].

** **عن ابن عباس –رضى الله عنهما– أن الرسول –صلى الله عليه وسلم–قَالَ:**

«أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

---

[٤٧] الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم(٤٠/٤)

[٤٨] **وعليه نقول :**

أن من قال أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ، وجعل أعمال الجوارح شرط كمال ، ويقول " لا كفر إلا باعتقاد وجحود" وينسب ذلك لأهل السنة ، فقد نسب لأهل السنة ما ليس منهم ،وقد سئل صالح الفوزان :هل تصح هذه المقولة: " من قال الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص فقد بريء من الإرجاء كله حتى لو قال لا كفر إلا باعتقاد وجحود " ؟

فقال :

هذا تناقض !! إذا قال لا كفر إلا باعتقاد أو جحود فهذا يناقض قوله إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، لأنه إذا كان الإيمان قول باللسان واعتقاد الجنان وعمل بالجوارح وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ... فمعناه أنه من تخلى من شيء من ذلك فإنه لا يكون مؤمناً . وانظر أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر(ص/٥)

[٤٩] انظر درء الفتنة عن أهل السنة (ص/٣٩) ومزيد من اللوازم الباطلة لمذهب المرجئة قد ذكرها شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى(١٨٨/٧- ١٩٠)

[٥٠] وانظرالسنة للخلال(٨٣/٣)و براءة أهل الحديث(١٥٥)

اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»[٥١]

قال البخاري :قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: ١٤٣] يَعْنِي صَلاَتَكُمْ عند البَيْت .[٥٢]

* **سئل " سفيان بن عيينة عن الإرجاء، فقال:** "

يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول الإيمان قول وعمل ، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصرّاً بقلبه على ترك الفرائض، وسمُّوا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم ، وليس بسواء ؛ لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية ، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر.ا.هـ [٥٣] .

** الإيمان عند مرجئة الفقهاء :[٥٤]

الإيمان عندهم هو تصديق القلب وقول اللسان ، أما عمل الجوارح فهو خارج عن مسمَّى الإيمان ، مع قولهم أن مرتكب الكبيرة معرض للوعيد وهو تحت المشيئة [٥٥] .
فأعمال الجوارح عندهم ليست من الإيمان ولكنها من لوازمه، فالعلاقة بينهما كعلاقة دائرتين متلازمتين لا تنفك إحدهما عن الأخرى،ويقولون :
انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم [٥٦] .

وعليه:

فالناس عندهم فى أصل الإيمان سواء، وإنما التفاضل فى لازم الإيمان،الذى هو عمل الجوارح ، فهم يتفاضلون فى الجنة بحسب أعمالهم الظاهرة، وهذا ما نص عليه صاحب الطحاوية.
وأما صاحب الكبيرة فقالوا :فهو تحت المشيئة ، ويُخشى عليه من العذاب.[٥٧]

---

[٥١] متفق عليه.

[٥٢] ذكره البخاري تحت باب: الصلاة من الإيمان ، وقد ذكر-رحمه الله- عدة أبواب على ذلك النحو ، فقال :باب اتباع الجنائز من الإيمان ، باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان ، باب: الجهاد من الإيمان...

[٥٣] وانظر السنة لعبد الله بن أحمد (ص/٣٤٧) والتوسط والإقتصاد أن الشرك يكون بالقول والفعل والاعتقاد (ص/٢٦)

[٥٤] مرجئة الفقهاء على رأسهم حماد بن أبى سليمان وأبو حنيفة، فإن قول أبى حنيفة بالإرجاء ثابت عنه، أثبته معاصروه ومن جاء بعده، وأما ما نسب إليه من كتاب الفقه الأكبر والوصية، وهى كتب شملت على جملة من المخالفات لمنهج أهل السنة، ففى سنده مجاهيل،وثبوتها إليه فيه نظر.

[٥٥] وأما عمل القلب فمنهم من يدخله فى الإيمان ومنهم من يجعله خارجاً عنه.

[٥٦] انظرحقيقة الإيمان(ص/٣٦)

[٥٧] أوجه الوفاق و الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء:
(١) أما الموافقات فتتمثل فيما يلي :
(ادخال اعتقاد القلب والنطق باللسان في الإيمان - أن أهل الكبائر تحت الوعيد – الإيمان مع ترك العمل يعرِّض صاحبه للذم والعقاب) =

<u>*الرد على مرجئة الفقهاء :</u>

وإذا نظرنا إلى العلة التى من أجلها ذهب مرجئة الفقهاء إلى جعل أعمال الجوارح ليست داخلة فى مسمى الإيمان، فهى علة عليلة نص عليها أحد أئمتهم ، فقال:

عدُّ العمل ركناً يجر إلى معتقد الخوارج والمعتزلة الذين يكفِّرون بترك العمل !!

***** وجواب ذلك أن يقال*** :

فرق بين أن تجعل أعمال الجوارح ركناً فيبطل الإيمان بتركها كليةً ، وهو ما تفيده نصوص الشرع ،وهو مذهب أهل السنة ، وبين أن تجعل كل عمل من أعمال الجوارح ركناً يبطل الإيمان بتركه ، كالزكاة أوالصوم أو الحج مثلاً ، وهو مذهب الخوارج والمعتزلة الذين يكفِّرون بترك أى واجب من واجبات الشرع أو بإيتاء كبيرة من الكبائر. فتأمل .

فالذى عليه أهل السنة أن العمل الذى هو ركن فى الإيمان إنما هو جنس الأعمال، وليس كل فرد من العمل الظاهر .

فالقاعدة هنا ***" جنس العمل ركن في الإيمان ، لا آحاده ، إلا بدليل "***

١- ***أما قول مرجئة الفقهاء: أن الناس فى أصل الإيمان سواء، والتفاضل فى لازم الإيمان !!*** [٥٨]

= **(٢)وأما مواضع الخلاف ففي أمرين :**

أ) فيمن قال ولم يعمل :

فهو عند مرجئة الفقهاء مؤمن كامل الإيمان ؛ لأنه أتى بما يمنعه من الخلود فى النار وهو الإعتقاد والقول، ومستحق للذم لتركه عمل الجوارح،وأما أهل السنة فيعدونه كافراً ؛ لتركه عمل الجوارح بالكلية .

ب) قولهم بالتساوى بين الناس فى الإيمان :

فجعلوا إيمان أفجر الناس كإيمان جبريل ، فمرتكب الكبيرة مؤمن تام الإيمان ، إيمانه كإيمان كجبريل ،وأهل السنة يقولون :أن مرتكب الكبيرة مؤمن بأصل إيمانه ،فاسق بكبيرته ، مع قولهم أنه مستحق لدخول النار، فهم يخالفون أهل الحديث فى الإسم لا الحكم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

فهؤلاء –أي المرجئة -لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة ، وإنما ينازعونهم في الإسم ،وينازعون أيضا فيمن قال ولم يفعل ، وكثير من متكلمة المرجئة تقول لا نعلم أن أحداً من أهل القبلة من أهل الكبائر يدخل النار، ولا أن أحداً منهم لا يدخلها ، بل يجوز أن يدخلها جميع الفساق ويجوز أن لا يدخلها أحد منهم ، ويجوز دخول بعضهم . ا.هـ انظر منهاج السنة(١٥٠/٥) وشرح العقيدة الأصفهانية (ص/١٣٨) وبراءة أهل الحديث من بدعة الإرجاء (ص/٢٦١)

[٥٨] وهذا مما قد نص عليه صاحب الطحاوية ،فقال :"والإيمان واحد، وأهله فيه سواء"

وهذا غلط؛ لأن الإيمان ليس واحداً، وليس أهله سواءً ، بل الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص، والتصديق بالقلب ليس الناس فيه سواءً، فليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان الفاسق من المسلمين .

كذلك من ناحية العمل، الناس يتفاضلون في العمل، منهم كما قال الله عز وجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه) هذا العاصي الذي معصيته دون الشرك، فإنه ظالم لنفسه (ومنهم مقتصد) وهو الذي يعمل الواجبات ويتجنب المحرمات.(ومنهم سابق بالخيرات) وهذا هو الذي يعمل الواجبات والمستحبات، =

فجوابه : أن التفاضل ليس فقط فى عمل الجوارح ، بل أيضاً فى عمل القلب ، فنفس تصديق القلب يزيد وينقص ، ومن أدلة ذلك :

١– عنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ :

يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)[٥٩]

٢) *قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يوم الحديبية* :

وَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ .[٦٠] .

٣)وعن أبيَّ بن كعب -رضي الله عنه- لما اختلف القرَّاءُ في القرآن قال:
«فسقط في نفسي من التكذيب في الجاهلية، فلما رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرقاً..»[٦١]
ولا يرتاب عاقل أن إيمان هذا الصحابي عند تلك الغشية دون إيمانه قبلها وبعدها .
٤) وفي حديث الرجل الذي قاتل مع النبي -صلى الله عليه وسلم، فقال :
" هو من أهل النار" ، «فكاد بعض الناس يرتاب» .
ولا يرتاب عاقل أن المؤمنين يتفاوتون في التقوى تفاوتاً عظيماً، وأعظم أسباب ذلك تفاوتهم في اليقين ، فإننا نرى أحوالهم في اتقاء الضرر الدنيوي لا يتفاوت ذاك التفاوت.
بل إنك تجد من نفسك أنه قد يقوى فترغب نفسك في الطاعة وعن المعصية، وقد يضعف فتتهاون بذلك.
وكذلك تجد ذلك عندما تطلع على الأدلة أو الشبهات، فقد يقف العالم على عدة نصوص من الكتاب والسنة فيتبين له أن بعضها يصدق بعضاً، وقد يتراءى له أنها تتناقض.
وقد يرى نصوصاً في العقائد، فيتبين له أن العقل موافق لها وقد يتراءى له أنه يخالفها.
ويرى نصوصاً في الأحكام فيتبين له أنها موافقة للرأي والنظر والحكمة والقياس، وقد يتراءى له أنها مخالفة لذلك.

= ويترك المحرمات والمكروهات وبعض المباحات من باب الاحتياط ، فدل على أن الإيمان متفاضل.وانظر التعليقات على متن الطحاوية للفوزان(ص/١٤٥)

[٥٩] أخرجه البخاري (٤٢) وترجم له البخاري بقوله "باب : زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى"

[٦٠] أخرجه ابن حبان (٢٢٢/٧) وصححه الألباني . وهو -رضى الله عنه- لم يشك فى رسالة النبى -صلى الله عليه وسلم - فهو على يقين من ذلك، وإنما شك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قد جانبه الصواب فى اجتهاده لما قبل الصلح على هذه الشروط .

[٦١]) قال القاضي عياض : معنى قوله "سقط في نفسي" أنه اعترته حيرة ودهشة ، وقوله " ولا إذ كنت في الجاهلية " معناه : أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبا لم يعتقده ،وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بهاهـ شرح مسلم للنووي(١٠٢/٦)

ولا أدرى عاقلاً يتصور حاله وحال الملائكة والأنبياء ويقول: إن يقينه مثل يقينهم.ا.هـ[٦٢]
.

قال الفضيل بن عياض:

قال أصحاب الرأي: ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شيء من الفرائض من الإيمان افتراء على الله –عز وجل– وخلافا لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر –رضي الله عنه– أهل الردة ".

وقال رحمه الله: " يقول أهل البدع: الإيمان الإقرار بلا عمل والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال، ولا يتفاضلون بالإيمان، ومن قال ذلك فقد خالف الأثر ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله .[٦٣]

- ***شبهات أخرى لكافة فرق مرجئة :***

الأولى : قالوا: العمل ليس من الإيمان ؛ لأن الله فرَّق بينهما فقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)!!

الجواب أن يقال :

أولًا : هذا من باب عطف العام على الخاص ، ورَد نظير ذلك قوله تعالى(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ...) (البقرة/٢٧٧) وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–(اتقوا الدنيا واتقوا النساء..........) ولازم قولكم أن فتنة النساء ليست من فتن الدنيا .

وَكَقَوْلِه تَعَالَى {من كَانَ عدوا لله وَمَلَائِكَته وَرُسُله وَجِبْرِيل وميكال فَإِن الله عَدو للْكَافِرِينَ} وَلَا خلاف فِي أَن جِبْرِيل وَمِيكَائِيل من جملَة الْمَلَائِكَة ، وَكَقَوْلِه تَعَالَى {فيهمَا فَاكِهَة ونخل ورمان} وَالرُّمَّان من الْفَاكِهَة . وَالْقُرْآن نزل بلغَة الْعَرَب ، وَالْعرب تعيد الشَّيْء باسمه وَإِن كَانَت قد أجملت ذكره تَأْكِيدًا لأَمره [٦٤] .

ثانياً: إعمال الأدلة أولى من إهمالها ،وكافة النصوص الأخرى دلت أن الإيمان قول وعمل، فهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

الشبهة الثانية :

ما ورد في حديث جبريل – عليه السلام–في بيان الإسلام والإيمان والإحسان ؛حيث جعل أعمال الجوارح ، من الصوم والزكاة والصيام والحج ليست من الإيمان!!!

** ***وجواب ذلك ما قاله البغوي – رحمه الله*** – :

---

[٦٢] القائد إلى تصحيح العقائد(ص/١٢٩)

[٦٣] وانظر السنة لعبد الله (٨١٨) وبراءة أهل الحديث(ص/١٦١)

[٦٤] الفصل في الملل والأهواء والنحل(١٢٤/٣)

جعل النبي –صلى الله عليه وسلم –في هذا الحديث الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين ، ولذلك قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».. [٦٥] .

**** ثم نقول** : :

أليس الذى عرَّف الإيمان بالتصديق الباطن في حديث جبريل هو –صلى الله عليه وسلم –الذي عرَّفه بأعمال الجوارح في قوله : «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ ؟!!!

٣ـ الشبهة الثالثة :

قوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) فجعل محل الإيمان هو القلب ، وعمل الجوارح ليست من الإيمان !!!

**** *وجواب ذلك أن يقال*** :

ليس في الآية ما يشير إلى إخراج عمل الجوارح من الإيمان ، بل غاية ما فيها هو التأكيد على ضرورة الاعتقاد القلبي في ثبوت الإيمان ، فالآية في الحقيقة حجة على من استدل بها ، لا حجة له ؛ وذلك من وجهين :

١ – الأول : ما ذكره الطبري بقوله :

وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقّ، وهو أن يقولوا أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة الحق [٦٦] .

٢ – الثاني : ما ذُكر في الآية التي تليها مباشرة ، في قوله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادقون } فلقد جعل الجهاد بالنفس والمال من الإيمان ،وهى أعمال جوارح ،فتأمل .

---

[٦٥] شرح السنة(١/١١)
[٦٦] جامع البيان في تأويل القرآن(٢٢/٣١٣)

*** الإيمان عند الأشاعرة والماتريدية :

أما الإيمان عند الأشاعرة فهو التصديق ،وأنَّ قول اللسان شرط لإجراء الأحكام الدنيوية ، من التوارث والتناكح والصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابر المسلمين ،وأما إذا صدَّق ولم ينطق بالإيمان فهو مؤمن في الآخرة باعتقاده تصديقه ،لكن تجري عليه أحكام الكفار في الدنيا ،وذلك إذا امتنع عن النطق بالشهادتين ، وأما عمل الجوارح فهو شرط كمال فى الإيمان ،وعلة ذلك عندهم أنهم يقولون أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتجزأ.

وعليه قالوا : الإيمان لا يكون محله إلا القلب ؛ لأنَّ أعمال الجوارح وقول اللسان فقط هى التي تكون قابلة للزيادة والنقصان. [٦٧]

قال البيجورى :

والعمل شرط كمال من المختار عند أهل السنة -يقصد الأشاعرة - فمن أتى به حصَّل الكمال ، ومن تركه فهو مؤمن ، لكنه فوَّت على نفسه الكمال ، إذ لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشرع أو شك ،إلا فهو كافر فيما عُلِم من الدين بالضرورة . ا.هـ [٦٨]

*** الرد على الأشاعرة في قولهم أن الإيمان هو التصديق :

قولهم أنَّ الإيمان هو التصديق بناءً على ما ذهبوا اليه أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهذا محله لا يكون إلا فى التصديق !!

مردود بأنَّ التصديق القلبى كذلك يزيد وينقص ، وقد سبق ذكر أدلته بما يغني عن إعادته .

فمن صدّق فى الأمور العملية والاعتقادية من أسماء الله وصفاته وأمور الغيب والملائكة يزيد إيمانه عمَّن خلا قلبه من هذا التصديق ؛ لعدم علمه بهذه التفصيلات في مسائل الاعتقاد .

فكلما زاد علم المرء بهذه الأمور وصدّق بها فهو أكمل إيماناً ممَّن لم يعلمها .وعليه فتصديق القلب يتفاوت بين الأشخاص ،يزيد وينقص بقدر ما في الشخص من العلم والتصديق.

---

[٦٧] وإن كان صاحب الجوهرة قد رجَّح أن قول اللسان مع تصديق القلب شرط فى صحة الإيمان، ولكنَّ الأشاعرة فيما ذهبوا إليه فى مسألة الإيمان فهم غير ملزمين بالقول بإيمان أبى طالب مثلاً ؛ لأنهم يقولون أن الذى يُطلب منه قول اللسان فيتركه إباءً فهو كافر. وقد ذكرنا فيما سبق ضعف قولهم بأن قول اللسان ليس شرطاً فى صحة الإيمان . فقول اللسان مع عمل القلب وقوله وعمل الجوارح هو الإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة .

فإن قيل :فما الفارق بين قول الجهمية فى الإيمان الذى هو المعرفة وقول الأشاعرة الذى هو التصديق ؟

فالجواب : أنَّ متأخرى الأشاعرة لا يُثبتون تصديقاً مجرداً عن أعمال القلوب بل يُدخلون فى التصديق الإذعان و الإنقياد والقبول ،كما أنهم يُكفِّرون المشركين الذين عرفوا الحق ولم ينقادوا له.وانظرنقد الجوهرة (ص/٨٩)

[٦٨] شرح جوهرة التوحيد للبيجورى(ص/٨٨)

قال النووي :

فالأظهر –والله أعلم– أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض ، بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهمَ الْأَحوال .[٦٩]

قال السبكي :

لا يشك عاقل في أن إيمان الصديق ليس كإيمان آحاد الناس حق ، ففرقٌ بين إيمانٍ ثبت ورسخ وصار لا يقبل تزلزلاً ، وإيمان بخلافه [٧٠] .

**** الإيمان عند الخوارج والمعتزلة:.

فهو قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح ، ويرون أنَّ كل فرد من أفراد العمل ركن في الإيمان وجزء منه ، وعليه فإنه لا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب ؛ لأنَّ من ارتكب كبيرة فقد خرج من الإيمان ودخل في الكفر عند الخوارج ، وصار عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين .[٧١]

ويقولون الإيمان شئ واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يُستثني فيه . [٧٢]

****** الرد على الخوارج والمعتزلة :***

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

ثُمَّ قَالَتْ " الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ " الطَّاعَاتُ كُلُّهَا مِنْ الْإِيمَانِ ، فَإِذَا ذَهَبَ بَعْضُهَا ذَهَبَ بَعْضُ الْإِيمَانِ فَذَهَبَ سَائِرُهُ ، فَحَكَمُوا بِأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ الْإِيمَانِ .[٧٣]

وقال رحمه الله :

أَمَّا الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ مُطْبِقُونَ عَلَى ذَمِّهِمْ . قِيلَ : أَوَّلًا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي لَمْ يُوَافِقْ الْخَوَارِجَ وَالْمُعْتَزِلَةَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ الْقَوْلُ بِتَخْلِيدِ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَشْهُورَةِ وَقَدْ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ ؛ وَسَائِرُ أَئِمَّةِ

---

[٦٩] شرح مسلم النووي(١/ ٦٩)

[٧٠] وانظر طبقات الشافعية للسبكي(١/ ١٣٣) والمسائل التي نقل فيها ابن تيمية الإجماع (ص/٥٣٧)

[٧١] والعجب في أمر المعتزلة أن أحد الأصول الخمسة عندهم هو العدل ،وبنوا عليه قولهم بنفي خلق أفعال العباد ، ثم يقولون أن من فعل كبيرة واحدة ألغت جميع الأعمال الصالحة،ولو كانت هذه الأعمال الصالحة أمثال الجبال.

[٧٢] وانظر الإيمان لابن منده(٣٣١/١) والفِصل (٢٢٧/٣) ومسائل الإيمان لأبي يعلى(ص/١٥٦)

[٧٣] مجموع الفتاوي(٥١٠/٧)

الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ ، وَاتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى أَنَّ نَبِيَّنَا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَشْفَعُ فِيمَنْ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ أُمَّتِهِ . فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : { لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنِّي اخْتَبَأْت دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٧٤].

طريقة أهل السنة في علاقة عمل الجوارح بمسألة الإيمان أنهم جعلوا جنس الأعمال ركناً من أركان الإيمان ، وليس كل فرد من أفراده ركناً فيه ، وعليه فإنه يجتمع عندهم في الشخص الواحد حسنات وسيئات.
كما أنهم لم يجعلوا كل الأعمال شرطاً في صحة الإيمان ، بل جعلوا كثيراً منها شرطاً في الكمال ، والمعتزلة جعلوها كلها شرطاً في الصحة .[٧٥]
والقاعدة التي توضح لك منهج أهل السنة في ذلك أن يقال: .
. **جنس الأعمال ركن الإيمان ، لا آحاده إلا بدليل **
والمعنى : أن الذي يتحقق به الكفر إنما هو ترك العمل كلية ، عمل القلب أو عمل الجوارح ، وليس آحاد العمل ، كما نص عليه الخوارج والمعتزلة ،ثم جاء الاستثناء : إلا بدليل : أي إلا إذا دل الدليل على أن عملاً بعينه يكفر المرء بتركه كلية ، كما هو الحال في ترك الصلاة بالكلية .
*** أما ما ذهبوا إليه من القول بكفر فاعل الكبيرة فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وقد استوفينا الرد عليه في رسالتنا " إتحاف الجماعة بشرح حديث أسعد الناس بالشفاعة" بما يغني عن إعادتها هنا .[٧٦]

***** ونضيف هنا زوائد ، منها :***

النصوص المتواترة على عدم خروج مرتكب الكبيرة من مطلق الإيمان ، ولذلك فإنَّ العقوبات الشرعية من القصاص و الحدود تُطبَّق على شارب الخمر والزانى والسارق ، ولو كان يخرج بالكبيرة من الإيمان لطبق عليه حد الردة وقتل ، ولما طبقت عليه تلك الحدود.
قال الأوزاعى :

---
[٧٤] مجموع الفتاوي(٢٢٢/٧)
[٧٥] وانظر معارج القبول (٢ / ٣٠) وبراءة أهل الحديث (ص/٦٦) ودرء الفتنة عن أهل السنة(٣٨)
[٧٦] هذه الرسالة ملحقة بكتابنا "الأربعون العقدية"

قال: أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة، ولا يفرقون بين الإيمان والعمل، ولا يعدون الذنوب كفراً ولا شركاً .[77]

*** مسألة الاستثناء فى الإيمان :

ومعنى الاستثناء في الإيمان أن يقول *" أنا مؤمن إن شاء الله ""* .

الأقوال في هذه المسألة :

١) *القول الأول* : حرمة الاستثناء فى الإيمان : قال به الجهمية والمرجئة ، حيث قالوا لا يجوز الاستثناء فى الإيمان ؛ لأن الإيمان عندهم واحد يعلمه المرء من نفسه، فإن استثنى كان ذلك دليلاً على شكه ، فالأصل فى الإيمان الجزم؛ لقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات/١٥) وممن قال بهذا القول الحنفية " مرجئة الفقهاء " .

فأصحاب هذا القول يعدون الاستثناء فى الإيمان شكاً ، ويطلقون على من استثنى فى إيمانه اسم "الشكَّاكة" [78] .

- القول الثانى : *وهو وجوب الاستثناء في الإيمان ،و قال به بعض أهل السنة والكلابية:*

وذلك باعتبار الحال والمآل :

١- فأما المآل :

فلأنَّ المرء لا يعلم خاتمته ، وعلى أى شيء يموت ، وعليه فمن لم يستثن في الإيمان فقد جزم لنفسه بالجنة .

٢- **وأما الحال :** فلأن الإيمان إنما هو فعل المأمورات وترك المحظورات، وهذا لا يجزم به أحد؛ للنقص الذى يعترى المرء .

٣- كما أن الجزم بالإيمان فيه تزكية للنفس ، وقد قال الله تعالى (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)(النجم/٣٢)

---

٧٧ أخرجه حرب الكرمانى فى مسائل أحمد واسحاق بن راهوية (ص/٣٦٨) وانظر الإيمان عند السلف وحقيقته بالعمل (١١/٢)

٧٨ وذهب بعضهم الى تكفير المستثنى بحجة أنه شاك فى إيمانه، ولهذا منع بعض الحنفية من تزويج القائل بالاستثناء في الإيمان من المرأة الحنفية ، ثم جوزوا نكاح الحنفى من الشافعية – التي تقول بالاستثناء - قياساً على نكاح أهل الكتاب، ولكن المحققين منهم على خلاف ذلك كله.

*** الراجح في ذلك التفصيل:

(١) إن كان الإستثناء عن شك فهو محرم ، بل هو كفر ؛ لقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**(الحجرات/١٥)**

(٢)إن كان الاستثناء لمن يخشى تزكية النفس ، أو باعتبارالموافاة فهو حق .

قال البغوي :

وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا عَلَى مَعْنَى الشَّكِّ فِي إِيمَانِهِ وَاعْتِقَادِهِ مِنْ حَيْثُ عِلْمِهِ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ فِيهِ عَلَى يَقِينٍ وَبَصِيرَةٍ، بَلْ عَلَى مَعْنَى الْخَوْفِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَخَفَاءِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَمْرَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ يَبْتَنِي عَلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ، وَيَخْتِمُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، لَا عَلَى مَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ .ا.هـ[٧٩]

*** قَالَ اسحاق بن منصور :**

وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» ، الِاسْتِثْنَاءُ هَاهُنَا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقَعُ ؟
قَالَ: «عَلَى الْبِقَاعِ، لَا يَدْرِي أَيُدْفَنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَوْ غَيْرِهِ» [٨٠]

(٣) أن يقصد بالاستثناء الإيمان المطلق ؛ لأن عدم الاستثناء يتضمن أن العبد فعل جميع ما أمر به ، وفى ذلك تزكية للنفس، ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم :وَاللَّهِ إِنِّ لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِى [٨١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات ويخاف أن لا يكون قائما بها فقد أحسن ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم [٨٢] .

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: سفيان يقول: من كره أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فهو عندنا مرجئ.[٨٣].

وَقَال – رحمه الله– : خالفنا المرجئة في ثلاث، نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: قول بلا عمل. ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص. ونحن نقول: نحن مؤمنون بالإقرار، وهم

---

[٧٩] شرح السنة(٤١/١)
[٨٠] انظر السنة للخلال(١٠٦٥)
[٨١] رواه مسلم (١١١٠)
[٨٢] مجموع الفتاوى (٦٨١/٧)
[٨٣] تاريخ الإسلام (٣٨٢/٤)

يقولون: نحن مؤمنون عند الله .[٨٤]

*** ***قال الإمام أ حمد*** :

أذهَب إِلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ، وَالْعَمَلُ الْفِعْلُ، فَقَدْ جِئْنَا بِالْقَوْلِ، وَنَخْشَى أَنْ نَكُونَ قَدْ فَرَّطْنَا فِي الْعَمَلِ، فَيُعْجِبُنِي أَنْ نَسْتَثْنِيَ فِي الْإِيمَانِ، نَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .[٨٥]

وقد ورد عن جماعة من السلف الإستثناء فى الإيمان ، كابن مسعود وغيره.[٨٦]

(٤) يجب ترك الاستثناء إن كان وارداً على مطلق الإيمان، الذى هو أصله ، فهو يجزم قاصداً التصديق بما يعتقده ، كما حكى الله عن المؤمنين (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)**(آل عمران/٥٣)** (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)**(المؤمنون/١٠٩)**

ومثل هذا هو ما أمرنا به ،كما في قوله تعالى(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(البقرة /١٣٦)

* عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي مُؤْمِنٌ، فقَالَ عبد الله : " قُلْ: إِنِّي فِي الْجَنَّةِ !!! وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ "[87]

تم بحمد الله .

---

[٨٤] شرح السنة للبغوي(٤٠/١) فالمرجيء لا يستثني في الإيمان لأمرين : الأول أنه حصر الإيمان في التصديق ، وهذا عنده لا يقبل الزيادة ولا النقصان ،وعليه فإن الاستثناء فيه لا يكون إلا شكاً ، والثاني :لأنهم أخرجوا الأعمال من الإيمان .

[٨٥] السنة للخلال (١٠٦٥)

[٨٦] انظر حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء(ص /٤٣)

[٨٧] الإيمان لابن أبي شيبة (ص/٢٦٥)وسنده صحيح .